مثّل دور القائد الفلسطيني وائل زعيتر في فيلم سبيلبرغ الاخير «ميونيخ»

مكرم خوري: الاعلام الاسرائيلي يتجاهلنا وجمهوره نشأ على العنصرية

حيفا ـ من اسامة المصري:

هناك سؤال اسمعه كثيرا في الآونة الأخيرة، من قبل وسائل الإعلام، وهو: هل يوجد لدى الفلسطينيين داخل حدود الـ(48) فنانين على مستوى عالمي؟ ودائما اجيب بـ«نعم».. واضيف لدينا بعض الفنانين الذين يضاهون فناني العالم العربي، لكن ليس لدينا الفرص الكافية للبروز على المستوى العربي او على المستوى العالمي، فنحن نعاني من تجاهل المؤسسات الحكومية الاسرائيلية لنا، وعدم مساواتنا مع الفنانين اليهود من عدة منطلقات، واولها التفرقة العنصرية.. وفي نفس الوقت، لا تعترف بنا الدول العربية لاننا نحمل جواز السفر الاسرائيلي.. لذلك فإن الفرص تكاد تكون معدومة امامنا لاقتحام عالم الشهرة، أو حتى مجرّد ان يتعرف علينا المنتجون من العالمين او العرب، حتى يستطيعوا تقدير المواهب التي لدينا.. وعندما يطلب مني تقديم مثال على القدرات العالية التي لدينا، عندها أختار بعض الفنانين المبدعين الرائعين، وعلى رأسهم دائماً يكون الفنان مكرم خوري، الذي التقيته مؤخراً، بعد عودته من مهرجان برلين السينمائي الدولي، ثالث اكبر مهرجان سينمائي دولي في العالم، حيث شارك ضمن طاقم فيلم «تسامح».

قبل ان نستمع لما قاله هذا الفنان القدير، تعالوا معي لنقرأ ما كتبه الكاتب الفلسطيني زياد خداش، عن آخر مسرحية شاهدها له: «مكرم خوري كان حقيقيا جدا، وفلسطينيا جدا باللباس الشعبي وبالحركات والتلميحات، انا احب هذا الفنان وافرح حين اراه، فلديه خامة صوت قريبة وواسعة ودافئة تتيح له ان يقنع المتفرجين بانه لا يمثل، وان يكتسب ثقة من حوله بسرعة، كل سامع لصوته يشعر انه يعرفه، وانه سمعه مرارا في الشارع او البيت او المدرسة او الحلم.. كما انه يشعرني انه يحب المسرح بجنون، وانه سيموت فورا لو ترك المسرح، احس انه يكون في بيته تماما حين يقف على خشبة المسرح، بيت زوجته واولاده واشيائه الخاصة، انا اوافق مكرم على شعوره، فالمسرح بيت، بيت حقيقي، بكل ما تعنيه الكلمة من شراشف بنفسجية واكواب نبيذ وكسل صباحي شهي وناعم»..

عرفت مكرم خوري، من خلال شاشة التلفزيون، وانا ما زلت صغير السن، وكان الاعتقاد في ذلك الحين، ان من يعمل في التلفزيون هو من اتباع السلطة، لذلك كوّنت عنه فكرة سلبية، وبقيت على ذلك، الى ان صادف وعملنا سويا في مسرحية «العربة تسير»، التي اعدها واخرجها عن مجموعة كتابات للكاتب السوري محمد الماغوط.. عندها فقط، عرفت ان مكرم يحمل افكارا وطنية لا تقل عن أي شخص وطني في هذه البلاد.. ولكني تعرفت على مكرم الانسان المعطاء والفنان القدير عندما قام بأخراج مسرحية «المعطف» التي كتبتها أنا ومثلها زميلي خالد عواد.. في ذلك الوقت، شعرت بأنني مدين له بالاعتذار عن كل افكاري المسبقة نحوه.. وبالفعل قمت بذلك في زيارة خاصة.. ومنذ ذلك الوقت وأنا من اشد المعجبين بهذه الشخصية الرائعة: الانسان والفنان الوطني مكرم خوري.

■ حدثنا عن الفيلم الذي شاركت به مؤخراً في برلين؟

■ الفيلم من اخراج أودي ألوني، نجل عضوة الكنيست المعروفة شولاميت ألوني، وهو مخرج يساري تقدمي، وهو من انتاج امريكي/ فرنسي/ الماني/ اسرائيلي مشترك، ولعبت في الفيلم أحد الأدوار الأساسية: طبيب نفساني، مسؤول عن مستشفى للأمراض العقلية، والتي بنيت على انقاض قرية دير ياسين الفلسطينية التي دمرتها القوات الصهيونية عام (48).. كان العرض الأول للفيلم في مهرجان برلين، وقريبا سيعرض في دور السينما المحلية.

■ قبل ذلك، شاركت في فيلم «ميونخ» للمخرج العالمي ستيفن سبيلبيرغ، ماذا كان دورك هناك؟

■ لعبت دور القائد الفلسطيني وائل زعيتر، وهو دور صغير في الفيلم، لكن المشاركة مع مثل هذا المخرج، تزيد من فرص العمل في انتاجات عالمية، وقد حصل ان وعدت بأعمال اخرى، لكن الحديث ما زال عنها مبكراً.. في هوليوود يبحثون عن اسماء عالمية شهيرة حتى يحققوا ارباحاً كبيرة، ونحن الفلسطينيين ما زلنا بعيدين عن هذه الاسماء، رغم قدراتنا الفنية العالية، والفرص تأتي الينا ببطء..

■ وماذا عن الأعلام الاسرائيلي.. فأنت شاركت وما زلت تشارك في العديد من الاعمال المسرحية والسينمائية الاسرائيلية، وانت اول عربي حاز على جائزة اسرائيل للابداع؟

■ الاعلام الاسرائيلي يتجاهلنا تماما، وبصورة دائمة يظهرنا على الهامش، انظر الى اعلانات المسرح، فرغم اننا نأخذ ادوار البطولة في المسرحيات، الى ان صورنا دائما تأتي من الخلف، هذا اذا وضعوا صورنا من الأصل.. فهم ايضاً يخاطبون الجمهور اليهودي الذي نشأ على العنصرية، واسماؤنا لا تجلب الجمهور حسب ما يعتقدون، رغم انهم يؤمنون بقدراتنا العالية.

■ هناك برنامج تلفزيوني امريكي شهير في البلاد، وانت لعبت في حلقتين منه.. حدثنا عنه؟

■ انه مسلسل «البيت الأبيض»، ولو ان ممثلا يهوديا شارك فيه، لقامت الدنيا ولم تقعد في الاعلام الاسرائيلي، وقد لعبت فيه دور رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية، واخذت الكثير من ردود الفعل الايجابية عليه..

■ هل يعرفونك في خارج البلاد عندما تسافر؟

■ في برلين، لم يعرف الالمان من هو عادل امام ويسرى، حيث حضرا مع فيلمهما الجديد «عمارة يعقوبيان»، فكيف لهم ان يعرفوني.. لكن عندما اقمنا حفلة مع فرقة الـ DAM للراب العربي من مدينة اللد والتي كان لها ظهور في الفيلم، البعض عرفني من فيلم «العروس السورية» الذي لعبت فيه دور والد العروس، ومنهم من عرفني في دوري في فيلم «ميونخ».

■ هل تريد ان تحدثنا عن مشاريع دولية قادمة؟

■ لا احب ان اتحدث عن أي عمل قبل الانتهاء منه، لكني ابلغك بأني ساكون احد اعضاء لجنة التحكيم لمهرجان السينما الدولي في تركيا في اواسط حزيران القادم، حيث سيحتفل هذا المهرجان باليوبيل الفضي له.

■ مرتان توليت الادارة الفنية للمسرح الوطني الفلسطيني، وايضا لمسرح «الميدان» وها انت اليوم بدون هذه الادارة.. ماذا حصل؟

■ توصلت الى نتيجة بأن عملي كممثل او كمخرج، افضل لي بكثير، فأنا كل مرّة اتولى فيها الادارة، اصطدم مع افكار واناس لا يفهمون توجهاتي، وأنا لم اعد قادرا على خوض الحروب، خاصة في سنّي المتقدم.

* مكرم في سطور

ـ ولد المخرج والممثل المسرحي الفلسطيني مكرم خوري في القدس .

ـ هاجرت عائلته الى لبنان سنة 1948 ولكنها عادت فور هدوء الاوضاع ووجدت لنفسها مسكناً في مدينة عكا .

ـ تعلم التمثيل على يد جاكلين كرونبرغ في القدس، ثم انضم الى المسرح الناهض في حيفا. سافر الى لندن حيث درس الفن المسرحي في معهد «المونت فيو» هناك.

ـ عندما عاد الى البلاد انضم الى المسرح البلدي في حيفا، واصبح احد الاعضاء البارزين فيه وقد اشترك في جميع الاعمال التي قدمها المسرح، ومن اهمها مسرحية «الجزيرة» و«ناطرين غودو» و«الفلسطينية».

ـ حاز على عدّة جوائز تقديرية في مجال المسرح والسينما اهمها: جائزة قيثارة داوود عام 1984 ـ جائزة الاوسكار الاسرائيلي كأحسن ممثل ثانوي على ادواره في الفيلمين: «ابتسامة الجدي» و«جسر ضيق جداً»، عام 1985 ـ حائز على جائزة الدولة «جائزة اسرائيل» لإنجازاته كممثل في المسرح والسينما والتلفزيون.

مكرم خوري (القدس العربي)

ـ اشترك في العديد من المسلسلات التلفزيونية منها: «حكايات العم خليل»، «مفتاح القلب»، «جارك قريبك»، «ميشيل عيزرا سفرا وأولاده».

ـ اشترك في العديد من الافلام الفلسطينية ومنها افلام نالت شهرة عالمية مثل: «عرس الجليل»، «حكايات الجواهر الثلاثة»، «درب التبانات».

ـ اخرج العديد من المسرحيات، منها: «العربة تسير»، «المعطف»، «الحجر الأخير»، «الملك هو الملك»، «المهرج»، «انا هون يمّا»، «حلاق بغداد»، وعدة مسرحيات للمسرح الوطني الفلسطيني، كان آخرها مسرحية «جدارية» ومثّل الدور الرئيس فيها. والمسرحية مقتبسة من قصيدة طويلة للشاعر الفلسطيني محمود درويش.

ـ شارك في العديد من الافلام الاسرائيلية والعالمية، كان آخرها فيلم «ميونخ» لستيفن سبيلبيرغ.

ـ تولى الادارة الفنية لمسرح «الميدان» وايضا للمسرح الوطني الفلسطيني في القدس.

ـ لمكرم (3) ابناء، الكبيرة كلارا، انهت الدراسة المسرحية في معهد «بيت تسفي» للفنون المسرحية، وهي اليوم من الممثلات المعروفات في عالم المسرح والتلفزيون والسينما.. اما ابنه جميل، فقد انهى ايضا دراسته المسرحية في نفس المعهد، وهو اليوم يشارك في العديد من الاعمال الفنية، وخاصة في المسرح الوطني الفلسطيني، والصغيرة رولا، لم تنتهج نفس الخط، مع انها لم تبتعد عن الفن.

الدراما التلفزيونية العربية في المحاكم ولأول مرة:

«ام بي سي» تطالب «المركز العربي» الاردني بعشرين مليون دولار تعويضا عن أضرار وقف «الطريق الى كابول»

عمان ـ «القدس العربي»

أكدت مصادر موثوقة إن مسلسل «الطريق إلى كابول»، مرشح للعودة بقوة إلى الساحة الإعلامية، بعد الضجة الكبيرة التي أحدثها لدى الإعلان عن عرضه، ثم وقف عرضه في رمضان العام 2004.

وأشارت المصادر إلى إن الضجة الجديدة للمسلسل، الذي يروي حقبة من تاريخ أفغانستان، ومنها الاحتلال السوفييتي وقيام حركة طالبان والاجتياح الأمريكي للبلاد، ستدور في أروقة محاكم دبي هذه المرة، بعد أن قرر مركز تلفزيون الشرق الأوسط تحريك دعوى قضائية ضد «المركز العربي للخدمات السمعية البصرية» ـ الأردن، الذي امتنع عن تسليم فضائية (MBC) بقية حلقات المسلسل، الذي لم تتسلم منه سوى ثمان حلقات عرضتها في أوائل رمضان 2004، دون أن تتمكن من بث بقية الحلقات.

ويطالب مركز تلفزيون الشرق الأوسط، شركة «المركز العربي للخدمات السمعية البصرية»، بدفع تعويضات مالية تبلغ عشرين مليون دولار أمريكي تعويضاً عن العطل والضرر الذي لحق بها، نتيجة عدم تسليمه لفضائية (MBC) جميع حلقات المسلسل، الذي روجت له في حملة إعلامية كبيرة، وانتظره جمهور الدراما التلفزيونية باهتمام شديد.

وتعتبر هذه القضية الأضخم، في تاريخ الدراما التلفزيونية العربية، فضلاً عن تعقد فصولها، حيث تتقاطع فيها الحقوق المالية والفكرية، مع العلاقات والسياسة الدولية، ناهيك عن ملف الإرهاب الذي يتناوله المسلسل، والذي يعتقد أنه راح ضحيته.

وينتظر أن تشهد قاعات محاكم دبي مطلع الشهر المقبل، أول فصول هذه القضية، التي يتواجه فيها ممثلون عن مركز تلفزيون الشرق الأوسط (MBC) و«المركز العربي للخدمات السمعية البصرية»، في خصومة ستكون محط أنظار الإعلام والأوساط الثقافية والفنية، لاسيما وإن حجب المسلسل عن الشاشة كان قد سبب لغطاً وانزعاجاً كبيراً في الأوساط الفنية والثقافية، عدا عن جمهور المشاهدين، خصوصاً وأن «الطريق إلى كابل» كان يعد واحداً من ابرز الأعمال الدرامية العربية لذلك العام.

ويذكر إن الخلاف حول «الطريق إلى كابل»، الذي لم يكن بعيدا عن تجاذبات العلاقات السعودية القطرية المتوترة، كان قد تراجع صداه تماماً مع انتهاء الدورة البرامجية الرمضانية، في العام 2004، واعتبر من الماضي مع تحسن العلاقات بين الشقيقتين الخليجيتين، وانسحب ذلك على المسلسل نفسه، حيث يئس الرأي العام من إمكانية عرضه. ولكن لجوء الـ(MBC) المفاجئ إلى أروقة المحاكم، لفتح صفحة الخلاف القديم، يعيد في الآن نفسه طرح العمل الدرامي الذي لم يأخذ حقه من العرض.

وكان المسلسل، الذي أنتجه «المركز العربي للخدمات السمعية البصرية»، لصالح تلفزيون قطر، قد أعلن عنه بقوة، على أبواب رمضان عام 2004، ثم لم يلبث أن أعلن عن سحبه من الدورة الرمضانية، بطلب من التلفزيون القطري من الجهة المنفذة وصاحب الحق بتوزيعه وتسويقه ـ «المركز العربي» ـ الامتناع عن تسليم باقي حلقات المسلسل للجهات التي تعاقدت على عرضه، كما قام التلفزيون القطري بإجراء اتصالات مع عدد من تلفزيونات الدول العربية، مطالبا بعدم بث المسلسل، وتردد حينها أن تهديدات إرهابية كانت وراء هذه الخطوة التي جاءت مفاجئة.

وكانت وكالات الأنباء قد تناقلت، حينها، بياناً صادراً عن مجموعة متطرفة نُشر على أحد مواقع الإنترنت هدد بمهاجمة كل من ساهم في مسلسل «الطريق إلى كابول»، الذي كان من المفترض أن يعرض خلال الدورة الرمضانية على المحطات العربية، في حال تضمن إساءة إلى حركة طالبان الأفغانية. حيث جاء في «البيان رقم 7 من كتائب المجاهدين في العراق وسورية»، الذي وزعه موقع (الأنصار. نت)، «تحذيرنا الشديد لكل من ساهم بإنتاج هذا المسلسل من ممثل أو مخرج أو مصور في حال تضمن المسلسل غير حقيقة طالبان المشرفة وما طبقوه من الشرع الحنيف ومن دولة الخلافة».

وأضاف البيان الذي لم يكن بالإمكان التأكد من صحته «سوف نضرب إن قدر الله لنا ذلك مراكز القنوات الفضائية ومراسليها ومراكزها في العراق وسورية العارضة لذلك المسلسل»، متوعدا بأنه «لن يفلت من أيدينا أي واحد منهم إن لم يكن اليوم فبالغد وإن لم يكن بالغد فبعد شهر أو بعد سنة».

وفي الوقت الذي نفى فيه التلفزيون القطري، حينها، أن يكون قد خضع للتهديد، أكد من جهة أخرى إن قرار سحب المسلسل «لا علاقة له بالتهديدات وأنه تم اتخاذه قبل ظهور تلك التهديدات بيومين بسبب عدم توفر كل حلقات المسلسل كاملة»، مشيراً إلى إن العقد «مع الشركة المنتجة كان ينص على تسليمنا العمل كاملا قبل فترة كافية من بداية بثه في شهر رمضان.. لكن ذلك لم يحدث».

وبطبيعة الحال، كان التلفزيون القطري أول المتراجعين عن عرض المسلسل، وتبعه في ذلك، التلفزيون الأردني، الذي أعلن امتناعه عن بث حلقات المسلسل، نزولا عند رغبة التلفزيون القطري صاحب الإنتاج، ثم التلفزيون اليمني، كما امتنع أيضا كلا من التلفزيون المغربي والبحريني عن بثه، مبررين ذلك بعدم وصول كافة الحلقات إلى محطاتهم.

وبالرغم من طلب التلفزيون القطري عدم بث المسلسل، وتوقف «المركز العربي للخدمات السمعية البصرية» عن تسليم بقية حلقاته، إلا إن فضائية MBC، أعلنت عن نيتها عرض «الطريق إلى كابول»، ثم أعلنت عن إصرارها على عرضه، في الوقت الذي بدا فيه واضحاً أنها لن تتلقى بقية الحلقات، وإن كانت طالبت الجهات المعنية بالالتزام ببنود الاتفاقات المبرمة معها، وبالفعل عرضت الفضائية ثمان حلقات من أصل ثلاثين حلقة كانت بحوزتها، ثم اضطرت للتوقف.

تجدر الإشارة إلى أن المسلسل يبحث في الأسباب التي دفعت مئات من الشباب العرب للذهاب إلى أفغانستان لقتال القوات الروسية التي كانت تحتل ذلك البلد، ثم قتال القوات الأمريكية التي احتلته بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001، من خلال قصة حب بين شابة أفغانية وشاب عربي يلتقيان في لندن ثم يعودان إلى كابول.

وكان الكاتب جمال أبو حمدان، قد استغرب في حديث أجرته معه صحيفة الحياة، حينها، الضجّة المثارة حول المسلسل، قائلاً: «انتظرنا الهجوم من الغرب، فجاءنا من الشرق!... «الطريق إلى كابول» ينتقد أمريكا، يعمل على تنقية صورة العرب من الشوائب التي أحاطت بها بعد 11 سبتمبر، من خلال قصة إنسانية وتجربة أفراد وبشر حقيقيين».

ولكن الغرب لم يكن بريئاً، تماماً، من الحجر على المسلسل، الذي جاء الإعلان عنه متزامنا مع اشتداد سعير الحملات الانتخابية للرئاسة الأمريكية، ففي حين شككت مصادر عديدة بحقيقة التهديدات الإرهابية، تردد إن العمل أوقف بناء على طلب وضغوطات سياسية ودبلوماسية أمريكية، مورست على قطر، من أوساط المحافظين الجدد الذين رأوا في العمل ما يضر بحملة الرئيس جورج بوش الانتخابية.

لكن جوهر العمل، كما قال كاتب القصة والسيناريو، جمال أبو حمدان: «هو الدفاع عن الإسلام، وهو يهدف إلى رسم صورة موضوعية، متوازنة، ومستندة إلى وثائق وشهادات مجاهدين عرب في أفغانستان، ومراجع عدّة. كما ينطلق السيناريو من فكرة أساسية، هي أن أفغانستان ضحيةّ مؤامرة دوليةّ أطرافها معروفة.. نحن نسدد إصبع الاتهام إلى مشاريع الهيمنة على المنطقة، ونشير أيضاً إلى بعض الممارسات التي تمّت في عهد الطالبان».

ويذكر إن «الطريق إلى كابل»، الذي أنتجته الشركة الأردنية «المركز العربي للخدمات العربية السمعية البصرية» لحساب تلفزيون قطر، من تأليف الكاتب الأردني جمال أبو حمدان، وإخراج محمد عزيزية، وبطولة عدد من كبار الممثلين السوريين والأردنيين مثل عابد فهد وفرح بسيسو وعارف الطويل ونبيل المشيني وشفيقة الطل ووائل نجم وقد تم تصوير معظم مشاهده في الأردن.

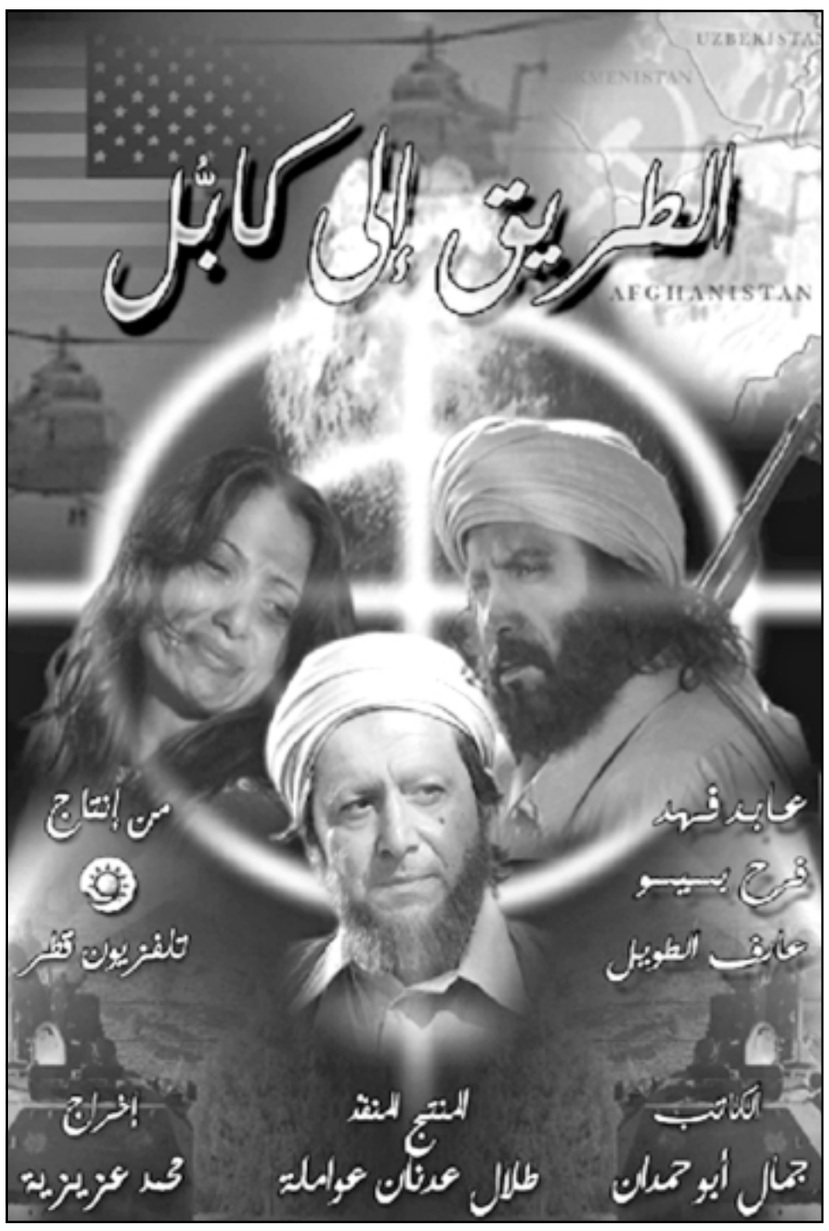

ملصق المسلسل (القدس العربي)

فضائيات

درس في تهمة «الإستقواء بالأجنبي» وآخر في مساوئ «الديمقراطية»...

خميس الخياطي*

■ والله، إن العرب اليوم لهم من أغرب أجناس العالم على الإطلاق... من الطبيعي أن تخترق الكيان الإجتماعي ـ وأي كيان إجتماعي ـ تيارات عقائدية وفكرية وسياسية وعاطفية وما شابه ذلك حتى «مجاري الهواء القيمية» المسببة لأفلونزا الإنسان، فتلك علامة صحية تكسب الكيان مناعته لتجعله يتطور وينمو. في هذا، كياننا العربي لا يختلف عن سائر شعوب الأرض حتى وإن صرخ عن خصوصيته البعض من أبنائه بملء فيهم. ولأن عالمنا العربي مهد الحضارات ومصدر الديانات السماوية، يبسط أجنحته على قارتين ويحمل في «أحشائه الدر كامن» من أصناف الطاقة النفطية حتى الشمسية، يفصل شمالا وجنوبا بين بحرين وجنسين مختلفين وشرقا وغربا بين ثقافتين لا علاقة بينهما ليحمي أكثر من مئتي مليون نسمة، كل فرد منهم هو عالم بذاته من ثقل معتقدات وواقع تناقضات وحلم شهوات وهلم جرا... ولذلك كله وأكثر من ذلك، لم تكف منذ عصور غابرة وحتى اليوم عمليات إستهدافه لتقطيع أوصاله والتفرقة بين أبنائه والمؤمنين به والقائلين بشرعية وجوده وحقه في المستقل... ولا داعي للإستشهاد بصليبيات الأمس ولا بـ«بوشيات» اليوم وهي كلها جارفة من «الشمال الإستعماري»، ناهيك عن الصراعات الداخلية التي لولاها لأصبحنا كما بتنا. كل ذلك مشروع ولا أحد قد تحوم بخاطره غربان التشكيك.

«الإستقواء بالأجنبي»

■ إلا أن هذا الكائن له حاليا، الآن وهنا، من الغرابة بين الأمم ما يجعله ينشئ «فيروسا» جديدا من لدن قادته وحكامه الحريصين على صحوته ومناعته والمؤمنين لشرعيته ومستقبله. فذهب بهم حب الوطن إلى إبتداع الجمهوريات الوراثية. أخذهم حب التضحية من أجل الفقراء لله إلى تمطيط الدساتير. دفعتهم غيرتهم على حيوية بلدانهم إلى إنشاء باقة من الأحزاب والمنابر المتناسلة الواحدة من الأخرى مزينة للديقراطية الإفتراضية و«مبرقشة» لها إلى حد أن الذي تسول له نفسه التشكيك في أدنى درجات الإنصهار بين الرئيس ـ القائد ومرؤوسيه المقودين في جمهورياتنا وممالكنا العربية، ينقلب ليله نهارا... وتتعفن أموره لو قيل أنه ومن شابهه «طلبوا المعونة من سفارة أجنبية»، حينها لن تتذكر أمه أنها ولدته حقا يوما... لذلك تهمة «الإستقواء بالأجنبي» أصبحت اليوم وفي عالمنا العربي أبشع التهم المعروضة على رفوف حكوماتنا الفاضلات وعلى راحة حكامنا الأكارم...

بمناسبة مناقشة لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ومقرها جنيف قضية تقدم بها الأقباط ضد الحكومة المصرية ومفادها عدم إحترام حقوقهم وهذا قبل أن تتبدل اللجنة لتصبح مجلسا أمميا لأن عديد الحكومات (ومنها العربية) والمتهمة من طرف جمعيات غير حكومية بالتعدي على حقوق الإنسان أصبحت أعضاء في اللجنة وغيرت من مسارها، بثت القناة المصرية الخاصة «دريم 2» (نايل سات، تردد 11900) منذ مدة حلقة من برنامج «الحقيقة» الذي يخرجه عماد الغول ويعده ويقدمه وائل الإبراشي... كان موضوع الحلقة «الأقباط والإستقواء بالأجنبي». قبل أن نعرض للبعض من حيثيات البرنامج كما تلقيناها، إسم البرنامج وموضوع الحلقة يستدعيان بعض الملاحضات أهمها أنه من الغرابة وما يعبر عنه بـ«الغش الإعلاني» أن يكون عنوانا تلفزيا «الحقيقة» لأن يقيننا اليوم أن الحقيقة، مهما كانت، هي نسبية وملونة بالزاوية التي ينظر منها إليها كقول المثل الفرنسي القديم «حقيقة هي ما قبل جبال البيريني وخطأ ما وراءها». ثانيا، طرح مثل هذه المواضيع دون أن يحاط بكل المحاذير حتى لا يتعدى – ضمنيا ولدى المشاهد في عقر داره وفي خلوة مع ضميره – حدود المناقشة الحرة المفترضة قد يصب في وادي التخوين ومعاداة الوطن، لهو من الخطورة بمكان إذ ما زلنا، كمجتمعات عربية، نجر وراءنا مخلدات الفكر القبلي الحديدية لحد أننا أصبحنا «أساتذة» في مادة التخوين إن وجدنا واحدا منا لا يؤمن بما نؤمن. وهذه ميزة تنضاف إلى الميزات الأخرى...

«ده حصل في المريخ مش في مصر»

■ مع المعد ـ المقدم، حضر البرنامج من جهة الإتهام الكاتب السياسي طلعت رميح والمحامي القبطي لبيب معوض القريب من الكنيسة المصرية. من جانب الدفاع حضر محام قبطي آخر ومن سويسرا كان الإتصال هاتفيا بالسيد عدلي أبادير الذي قدم على أنه العقل المدبر للقضية المقدمة ضد الحكومة المصرية أمام لجنة الأمم المتحدة لحقوق الإنسان. وإن كان هذا الأخير صلبا وفولاذيا في إتهاماته بمعنى أنه لم يترك الباب مفتوحا لأي بصيص أمل في المراجعة (وليس التراجع) كقوله «نحن مظلومين ونريد أن نأخذ حقوقنا (...) أحنا كذابين، تعالوا قولوا : ده حصل في المريخ وما حصلش في مصر (...) وإذا لم تحل المشاكل في الداخل سأشعلها نارا. إلغوا التعصب الهميوني وسنقفل الموضوع» فإن الجانب الآخر ذهب هو كذلك إلى أقصى حدود الإتهام والتخوين. كان الكاتب السياسي طلعت رميح سجاليا كما لو كان في قبة البرلمان أو في إحتفال إنتخابي... يكفي أنه عرج في إتهاماته على أمريكا ودارفور ليقول بأن القضية أصبحت تنسيقا كاملا «بين حركة التمرد والسفير الأمريكي» وأن دارفور ليست مسألة عرقية ولا دينية لأن 95 في المئة من متساكنيها هم من المسلمين (؟). واعتبر أن هذا الفعل «يفتح باب التدخل السياسي من هذه اللجان. لجان دولية لم تكن في مصلحة الأمة على الإطلاق» وذكر بلجنة مخيم جنين التي وصفها بأنها «لعبة أمريكية ـ صهيونية». ثم دق المسمار بقوله «لا يمكن لأي إنسان وطني أن يلجأ إلى هذا الأسلوب» لأنكم ذهبتم بالقضية إلى من هم أعداء الوطن. وهكذا إنغلق الفخ. فخ الخيانة وتهمة «الإستقواء بالأجنبي». مثل هذا المنطق ـ وهو منتشر كالعدوى بين الحكام العرب الذين يرون قرب زوال حكمهم دون أن نعرف من سيرثهم ـ منطق منحرف يطيح بجرة قلم بـ«الحق في المقاومة» أو «الحق في الإنتفاضة» وهما حقان مؤمنان في المواثيق الأممية وحقان شرعيان ما دام الفضاء العام عندنا محكم الغلق وأبواق السلط تحرض على التخوين والحريات الفردية والاساسية تعطى بالقطارة. وبالتالي كل من لا يصفق للإنجازات تصديقا لوحي القائد ـ الحاكم بأمر قبيلته وشلته وطبقته هو خائن للوطن. وكما يقول بيت من أبيات نشيد وطني «ولا عاش في (ضعوا هنا إسم البلد الذي تريدون) من خانها»... إن مسألة الأقباط عوض أن ينظر فيها من طرف الحكومة المصرية نظرة مساواة بين جميع المواطنين، تركت فتعفنت لتصبح «حصان طروادة». والخطأ لا يقع على من أدخل الحصان المدينة بل على من جعل خدعة الحصان ممكنة. لقد أجاب مرة فهمي هويدي في «أكثر من رأي» لسامي حداد حول موضوع الأقباط أنه في الأساس موضوع ديمقراطية وموضوع حريات، وكتب صديقي جمال الغيطاني في عدد سابق من «أخبار الأدب» حول الأقباط والمسلمين في مصر أنه ولى زمن «الهلال مع الصليب» وانتهت علامات ثورة 19. هذه نتائج جد مؤلمة لأن بذوبان الأقلية وبتهمتي «التعامل مع السفارات» و«الإستقواء بالأجنبي» تضمحل الحريات ويضيق الفضاء العام لتصبح كل طروحات الحكومات العربية حول التعددية والديمقراطية وما شابههما طروحات خاوية، كاذبة وخدعة لن تنطلي على أحد. وهي السبب الأول والرئيسي في جلب «حصان طروادة».

«الديمقراطية ملازمة للشرك»

■ قناة كوثر (هوتبورد، تردد 12437) أعطتنا مؤخرا درسا في مفهوم الديقراطية، درس جعلني أعيد مراجعة معارفي الأكاديمية فيها وأعيد فتح الكتب من جديد لعلني أهتدي إلى تعريف يؤكد ما سمعته في برنامج «معا على الهواء» بحضور أستاذ بالحوزة، الأستاذ عبد الكريم آل نجف. لن أعلق ولن أستشهد ولن أناقش ولن «نخدم دماغي» (بالشدة على الدال الأولى). سأكتفي بذكر البعض القليل مما سمعت ليلتها. هاكم:

«الديمقراطية إختراع العقل البشري المنقطع عن السماء وهي تطبق على الآخرين بحسب المصالح. فهي كالسرقة التي لا تصح لا على المسروق ولا على السارق» (...) «الديمقراطية نشأت مع المبادئ الأرضية وحينما كان الفكر السفسطائي منتشرا في أثينا. والفكر الديمقراطي ملازما للشرك والنسبية. حينما ظهرت الديانة المسيحية، سقطت الديمقراطية. إنها قدر الإنسان القوي المنقطع عن السماء في حكم الضعيف ولا أقصد المسيحية كدين مهذب ومستقيم»...

«الإنسان له طبع أولي وطبع ثاني. ألأولي مع الله. وحينما يعيش في نظام طاغوتي، ينشأ لديه طبع ثان. الطبع الأول ضد الحيف والثاني مع الخيف وحينما يظهر النبي، سيكون في مواجهة مع الطبع الثاني الذي ستؤمن به الأكثرية. الطاغوت إنسان أو فئة أو طبقة أو جماعة يحكم بشهواته إستنادا على مبدأ القوة والرأسمالية. الأكثرية تؤيده بحكم الطبع الثاني. إنها الطاغوت... الراسمالية الأمريكية تسيطر على صندوق الإنتخابات من خلال الإنحلال الأخلاقي والفضائيات والعنصرية» (...)

بعد هذا القليل من تهمتي «التحالف مع السفارات» و«الإستقواء بالأجنبي»، بعد هذين المثالين مما تزرعه يوميا مثل هذه فضائيات، ألا ترون بأننا أصبحنا «نبيع القرد ونضحك على شاريه» متناسين أن من إشتراه هم نحن معشر العرب؟ لا حول ولا قوة إلا بالله... أليس من حق غربان الشك أن تحلق في سماء ما بين المحيط والخليج؟

■ جملة مفيدة: «إني لا أريد إرشاء الشيوخ. أريد شراءهم». هوارد هيودجس في فيلم «ربان الطائرة» للأمريكي مارتن سكورسيزي.

* ناقد وإعلامي من تونس
khemaiskhayati@yahoo.fr

وارضيات